المبحث الأول

الحدث السيرذاتيّ

قبل الخوض في السيرة الذاتية لا بدّ من الوقوف على الحدث، فلا يخفى على أحد من الدارسين ما للحدث من أهمية، بوصفه عنصراً مهماً تقوم عليه عناصر النص، إذ يشكل الحدث العنصر الذي يكوّن نسيج السرد الرسائلي "فكل من اللغة والوصف والحوار والسرد يقوم على خدمة الحدث وتصويره"[1]، ويرتبط الحدث في النص السردي بالزمن ارتباطاً وثيقاً، فهما في الواقع متداخلان، فالزمن(مدى بين الأفعال) والحدث (اقتران فعل بزمن)، وهكذا تنتقل خصائص الأول إلى الثاني وبالعكس[2].

إذ يعد الأساس الذي ترتكز عليه الشخصية، كما أنه يرسم ملامح البعدين الزماني والمكاني، اللذين يشكلان الإطار الذي تجري فيه الأحداث[3]، وهو" مجموعة الوقائع المنتظمة والمتناثرة في الزمان والمكان"[4]، والأوصاف لا توجد لمجرد الوصف، بل لأنها تساعد على تطور الحدث "فهي في الواقع جزء من الحدث نفسه"[5]، والحدث كذلك يتكون من "مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظمة على نحوٍ خاص"[6]، فالأديب ينتقي من الواقع ما يناسبه ثم يضفي عليه من مخزونه الثقافي والخيالي، إذ يعمل على صياغة الحدث وربطه مع الزمن.

إذ أفاد سارد السيرة الذاتية من تقنيات الزمن في السرد الرسائلي باعتبار إن السيرة الذاتية جنس أدبي لا يختلف عن السرد الرسائلي، وكذلك أفاد الكاتب من تقنيات الحدث في سرده فلم تختلف الرسائل عن الأجناس الأخرى في إمكانية وجود أكثر من نسق بنائي، على الرغم من هيمنة نسق التتابع على تلك الأنساق.

---

(1) البنى السردية في شعر السبعينات العراقي، شيماء ستار جبار(رسالة ماجستير): 80.

(2) ينظر: البناء الفني لرواية الحرب في العراق:27.

(3) ينظر: تداخل الفنون في شعر سعدي يوسف، إشراق مظلوم التميمي:90.

(4) السردية في النقد الروائي العراقي(1985 _1996) احمد رشيد وهاب الدرة،(رسالة ماجستير): 108. وينظر: تداخل الفنون في شعر سعدي يوسف:90.

(5) البنى السردية في شعر السبعينات العراقي: 80.

(6) الأدب وفنونه، عز الدين إسماعيل: 185.

وإذا كان الحدث ينطلق من الواقع، فإن الحدث في العمل الفني ليس كالحدث الذي نشاهده ونعيشه في الواقع[1].

وللحدث بداية ووسط ونهاية، فالبداية تمثل مرحلة من مراحل الحدث، يحتم وجودها أن يتبعها شيء آخر، فهي شيء يترتب على حدوثه شيء آخر، كما أن وجودها يفرض عدم وجود شيء يسبقها. وقد استخدم الكاتب انساق عدة لبناء الحدث تناولها الكاتب في رسائله ومنها:

- **نسق البناء المتتابع:**

لا يختلف نسق بناء الأحداث المتتابع في السرد الرسائلي عنه في الرواية بل أنه في السرد الرسائلي يعد من الأنساق التي تحظى بأولوية اهتمام الكاتب، الذي عادة ما يريد أن يعرض صوراً لسرده الرسائلي.

فالكاتب في السرد الرسائلي ملزم بربط أحداث سرده من دون ثغرات أو قفزات في هذا النوع من الأنساق، لأن فقدان شرط التعاقب الزمني يربك العمل، وعليه يجب أن تصاغ هذه الأنساق بصورة فنية تتسم بالوحدة، لأنه أمام أحداث وقعت فعلاً، وتحتاج كتابتها شرط التعاقب الزمني للحفاظ على وحدة الرسالة، لهذا يأخذ بناء الأحداث في الرسائل شكلاً متسلسلاً، إذ يبدأ من نقطة ويأخذ بالنمو من دون الرجوع إلى الماضي، فالكاتب في رسائله يسرد أحداثه واحداً تلو الآخر مع الحفاظ على خيط يربط بين الأحداث يمكن أن نسميه بالتتابع الذي يقصد به تتابع الوقائع في الزمان[2]، ويمكن تعريفه بأنه البناء الذي يبدأ سرد الحدث فيه "من منطقة محددة، ويتابع وصولاً إلى نهاية معينة، دون إرتداد أو عودة إلى الخلف"[3]، أو تسير الأحداث المنتقاة "وفق ترتيب محكم وتطور متنام، يسير بالقارئ قُدُماً باتجاه الغاية التي وضعها دون ثغرات أو قفزات، لأن خرق شرط التعاقب الزمني يحول عمله إلى...أصداء... وعليه يجب أن تصاغ بصورة فنية مترابطة تتسم بالوحدة والاتساق"[4]، فتعمل على "ربط الحدث السابق باللاحق ضمن تسلسل زمني صاعد

---

(1) ينظر: البنى السردية في شعر سعدي يوسف، علي داخل فرج(رسالة ماجستير):50. وينظر: تداخل الفنون في شعر سعدي يوسف:90.

(2) ينظر: البناء الفني لرواية الحرب في العراق: 27.

(3) المصدر نفسه:28 .

(4) إشكالية النوع والتجنيس، السيرة الذاتية نموذجاً، عادل الدرغامي زايد، علامات في النقد المجلد (17) ج65 ،النادي الثقافي بجدة 2008: 191.

من الماضي إلى الحاضر"[1]، أي أنّ الراوي يبدأ من نقطة زمنية حتى يصل إلى نهاية محددة من دون أن يتخلله إرتداد أو إرتجاع ومن أهم خصائص البناء المتتابع:

- توالي سرد الأحداث الواحد تلو الآخر مع وجود خيط رابط بينهما[2]،
- التركيز على سرد الوقائع حسب ترتيبها الزمني[3]، أي دون تقديم أو تأخير.
- هذا النمط من البناء نمط تقليدي شائع لأنه يحاكي سلسلة الأفعال الإنسانية في الحياة ونجد هذا النمط في رسالته(أبي) إذ يقول: **" أذكر أنني كنت طالباً في الصف الثاني الابتدائي في مدرسة زمّار الابتدائية للبنين، إذ طرق الباب من يطلبني من المعلّم(حنّا) الذي سمح لي بالخروج فوراً على غير عادته، واصطحبوني وأخي الأصغر(علي) مع أمي وعدد من الأقرباء إلى الموصل، بعد أن اخبروني أن أبي عاد من بيروت إثر رحلة علاج استشفائي قاربت الأربع سنوات.. وجدته شابّاً جميلاً لا يشبه آباء الطلبة الذين أعرفهم، فلم تكتف بيروت بمعالجته بل جعلت منه كائناً آخر- أناقةً وحضارة ورقياً-، فرحت به كثيراً لأنني سأكفّ عن سؤال مزعج أردّده يومياً على مسامع أمّي أين أبي، ومتى يعود؟"[4].**

يستمر الكاتب في نقل الخبر والحفاظ على التسلسل المنطقي من دون أي خلل في التتابع الزمني للحفاظ على التداخل في السرد الرسائلي، فالأحداث مضت بشكل طبيعي، وقد حافظ الكاتب على تتابع الأحداث على تسلسلها.

ونجد هذا في رسالة أخرى إذ يقول**: " ويعود أستاذنا الدكتور قاسم بعد تجربة تدريس في دولة (قطر) قاربت الأربع سنوات ليحاضر فينا ونحن طلبة دكتوراه في السنة التحضيرية نهاية الثمانينيات، وقد اشتد عُودُنا المعرفي فيثق بنا أكثر ويفتح صدره وعلمه لجرأتنا ومداخلاتنا، وأتعلم منه الجديد.. كان يعطي بلا تحفّظ ونأخذ منه بعفوية وأمانة بلا تردد.."[5].**

---

(1) تجربة الرواية السورية، سمر روحي الفيصل: 202. وينظر:السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، فدوى طوقان وجبر إبراهيم جبر وإحسان عباس نموذجاً، تهاني عبد الفتاح شاكر: 228.

(2) ينظر:البنية القصصية ومدلولها الاجتماعي في حديث عيسى بن هشام، محمد رشيد ثابت: 38.

(3) ينظر:حركية الإبداع: 242

(4) سيرة الجسد وصهيل المطر الجريح: 103.

(5) المصدر نفسه: 120.

يرتب الكاتب أحداث الخبر ترتيباً منطقياً في سياق أدبي متسلسل يعرض فيه تجربة أستاذه (قاسم) بعد جولة تدريسية في دولة (قطر) قاربت الأربع سنوات، إذ يقوم هذا المقطع من الرسالة في أحداثه المتتالية على تشكيل وحدة سردية متماسكة في عرض الأحداث مع الحفاظ على تسلسلها، وتقوم على السببية، فالحدث السردي الثاني/ اللاحق ناتج عن الحدث السردي الأول/ السابق، فمعرفة الكاتب وثقافته نتجت بفعل محاضرات الدكتور(قاسم)، وهكذا تتعاقب الأفعال السردية في الرسالة حتى تصل إلى نهاية الحدث، من دون أن نشاهد ارتدادات أو استرجاعات إلى الخلف.

ونجد أن تأليف الكاتب لرسائله جاء متتابعاً لسرده الأحداث التي عاصرت مرحلة الطفولة ودونها في معظم ذكرياته، ثم تليها مراحل الحياة اللاحقة بتتابع ملحوظ للأحداث فيتدرج القارئ بالأحداث من دون أن يلحظ الانتقال في الزمن فتستشف خط السرد التتابعي الرسائل في عرض الأحداث لمراحل وقوعها.

- نسق البناء المتداخل:

لا تخلو الرسائل الأدبية من وجود هذا النمط من البناء إذ تضمنت الرسائل أحداث متداخلة غير خاضعة في سردها لتسلسل زمني، وعليه فقد لا يلتزم الكاتب في سرده الرسائلي بالترتيب المنطقي للأحداث كما وقعت لا سيّما إذ ما تضمنت قصة فيتدخل في ترتيبها مثلما يصبو وهو يكتب فالأزمنة تتضارب وتتداخل، والأمكنة تتعدد وتتكاثر، فكسر الزمن يسهل توظيف الوقائع والأحداث بما يرسم له الكاتب، إذ " تتداخل الأحداث فيه دون اهتمام بتسلسل الزمان...، حيث تتقاطع الأحداث وتتداخل، دون ضوابط منطقية، وتقدم دون الاهتمام بتواليها، وإنما بكيفية وقوعها"[1]، وفي هذه العملية تسلط جميع الأضواء على الحدث بغض النظر عن الزمن الذي حصل فيه كونه ماضياً أو في الزمن الحاضر أو المستقبل أو أن يكون واقعاً على ضفتي مرحلة زمنية[2]، فالكاتب في السرد الرسائلي "غالباً ما يتذكر واقعة فعلية، ويجد نفسه يتحدث عن أخرى... بعد أن خضعت للتقليم والتنميق والتحريف الإرادي واللا إرادي"[3]، إذ يلجأ الكاتب / الراوي إلى "إحداث فجوات سردية عن طريق السرد الاستذكاري أو الاستشرافي"[4]، فيحيد المؤلف عن تتبع

---

(1) البناء الفني لرواية الحرب في العراق:28-29.

(2) ينظر: بناء الرواية المصرية، د. عبد الفتاح عثمان: 291.

(3) السير ذاتية بالمغرب، هشام العلوي، مجلة فكر ونقد العدد (53) لسنة 1997:25.

(4) السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، فدوى طوقان وجبر إبراهيم جبر وإحسان عباس نموذجاً: 228.

الأحداث بشكل ترتيب زمني، "تجنباً لسلطة الزمن الضاغطة من جهة، وخوفاً من خيانة الذاكرة من جهة أخرى"[1]، ومن أمثلة البناء المتداخل من رسالته (تمرين فانتازي في السعادة) يقول:" **قيل للنحات الشهير (رودان) ذات مرّة.. كيف تنحت تماثيلك يا رودان؟ فأجاب.. المسألة في غاية البساطة، آخذ قطعة من الرخام وأطرح عنها ما هو زائد عن الحاجة، والباقي هو التمثال.."**[2].

لقد أدخل الكاتب هذه الطرفة بداية رسالته لتقوم بدور مهم بتدعيم الجانب الموضوعاتي من حيث تجسيد الحدث، وهو يتساءل هل يكفي الدرس القاسي هدية متواضعة لأصدقائي المبدعين الكبار، ومنهم القاص العراقي فرج ياسين، فقد أسهم إدخال الطرفة على ارتباط الحدث بقوة الشخصية المحورية في الرسالة(فرج ياسين)[3].

ونلحظ التداخل في السرد لا يقتصر على سرد حدث واحد فحسب، بل يسرد مجموعة من الأحداث في بعض الأحيان، فيبدأ بسرد الحدث الأول ويتوقف عن سرده؛ لسرد مجموعة أحداث وحين يكملها يعود لإكمال سرده الأول.

- نسق البناء الدائري:

يدخل البناء الدائري هو الآخر في السرد الرسائلي، إذ يعمد فيه الكاتب إلى تقديم أحداث تبدأ من النهاية، فالقصة التي سردها الكاتب في سرده "عند نقطة نهاية أحداث الحكاية ثم تعرض ما سبقها عند نقطة بدايتها مجدداً"[4]،أي أن "الأحداث تبدأ من نقطة ما ثم تعود في النهاية إلى النقطة نفسها التي بدأت منها"[5]، ومثلما تبدأ نقطة نهاية الأحداث من غير تسلسل فيفقد الزمن في هذا النسق من البناء تسلسله، على الرغم من حالة التذبذب والاضطراب والتخلخل بين الماضي والحاضر والمستقبل.

ومن أمثلة البناء الدائري ما جاء في رسالته(فوانيس الموسيقى) إذ يقول: **" لا شيء يحدث إذا أرهقت الفريسة صيّادها ولم تتواطأ معه، فعند ذلك ليس ثمة مشكلة..أما إذا انقلب السحر على الساحر وأضحى الصياد هو الفريسة، فأحسب أن هذا ما يسعد ليل الصياد، لأن هدف المطاردة الأساس أن يكونا معاً، وفي هذه اللحظة تسقط الأوصاف وتذوب الأدوار، حيث يتّحد النفس والدم والجسد ، وكلّ**

---

(1) التماس بين السيرة والرواية، سلطان سعد القحطاني، علامات في النقد المجلد(17)ج (65) النادي الأدبي الثقافي بجدة 2008: 227.

(2) سيرة الجسد وصهيل المطر الجريح: 149.

(3) ينظر: سيرة الجسد وصهيل المطر الجريح:149 -150

(4) البنية والدلالة في مجموعة حيدر حيدر القصصية(الوعول)، عبد الفتاح إبراهيم: 87.

(5) البناء الفني في الرواية العربية في العراق: 43.

يتغذى على بعضه كما تفعل (البلاناريا).. ربما أُخطئ في تقدير الحب، لذا فإنني أقلّص- ربما- ومياً من مغبة اتّصالي بالآخرين، وذلك من أجل تقليص العذابات التي يكلفّني إشباعها كثيراً من العرق والليل والقهوة."[1]، قدم الكاتب الأحداث بطريقة مختلفة إذ بهذا السرد المختلف يسهم في توصيل الحدث ومغزاه، فهو يبيّن انقلاب السحر على الساحر وأضحى الصياد هو الفريسة فجعل النهاية هي البداية أي أن الأحداث تبدأ من نقطة ما ثم تعود إلى النقطة التي انطلقت منها.

- نسق البناء المتضمن:

يتضمن السرد الرسائلي نسق البناء المتضمن أسوة بالأجناس السردية الأخرى، أي يمكن أن تتخلله قصص كثيرة تدرج في قصة واحدة، أي تضمين قصة في أخرى، أو ما يعرف بنسق القصة داخل قصة ، وهنا وكما يقول شلوفسكي "يمكننا أن نعد المناقشة بمساعدة حكايات طريفة ثانية لتضمين قصة قصيرة أخرى، فالحكايات تذكر للبرهة على فكرة، كما تستعمل الحكايات الجديدة كاعتراض على سابقاتها"[2]، أي نشوء سرد داخل سرد "يقوم على أساس نشوء قصص كثيرة في إطار قصة واحدة"[3]، أي " إدخال قصة في قصة أخرى"[4]، ويضمن فيه الراوي "قصة غريبة عن المتن الأصلي بحيث يوقفه حتى تنتهي القصة ومن ثم إكمال المتن الأصلي"[5]، ويتم ذلك بـ"أن الراوي يورد حكاية أو قصة على سبيل الاستشهاد، فيتم فيتم في خلال ذلك خرق قوانين السرد بتوقف الحدث الرئيس وصياغته على نحو جديد، ليكون الاهتمام بالحكاية المضمنة"[6]، ومن أمثلة نسق البناء المتضمن في رسالته(بير الحمام) يقول:**"إلا أن شلة من شباب القرية المغامرين كانوا يرقصون طرباً لمثل هذه الفرص التي يؤكدون فيها رجولتهم، وكان صغار القرية ينتظرون على أبواب بيوتهم قبيل المساء لاستقبال أخوتهم وهم ينحدرون من الهضاب، يرددون الأغنيات الشعبية وقد حفّهم زهو غريب أشبه بزهو الفاتحين.."**[7]، وفي

---

(1) سيرة الجسد وصهيل المطر الجريح: 62.

(2) ينظر: نظرية المنهج الشكلي: 147.

(3) البناء الفني في الرواية العربية في العراق: 16.

(4) مقولات في السرد الأدبي تزيفتيان تودروف، ترجمة الحسين سحبان وفؤاد صفا، مجلة آفاق المغربية العدد 9،8 لسنة 1988:43.

(5) الملحمية في الرواية العربية المعاصرة، سعد عبد الحسين العتابي: 177.

(6) جماليات التشكيل الروائي: 126.

(7) سيرة الجسد وصهيل المطر الجريح:141-141.

الحكاية التي ضمنها الكاتب تختلف عن المتن الأصلي للرسالة، وقد أوردها الكاتب عن طريق التضمين ليكشف عبرها عن دلالة الحكاية المتضمنة وارتباطها بالحكاية الأصلية.